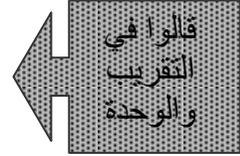


موانع التقريب بين المسلمين

بوادر الفرقة في التاريخ وأثرها على التقريب بين

المسلمين



إنّ بوادر الفرقة وعناصر الاختلاف بين المسلمين نشأت في عهد النبي، فقد وقع أول تنافر بين فرعي القبيلتين في الإسلام على ماء المريسيع في غزوة بني المصطلق حيث نادى المهاجري: يا للمهاجرين! ونادى الأنصاري: يا للأنصار! كما جاء في الحديث: «عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا في غزوة.. فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله www.SJDair.com بال دعوى الجاهلية، قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من

Archive of SID

الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة...»^(١) وكادت أن تقع الفتنة، وقال أحد رؤوس المنافقين «عبد الله بن أبي»: {لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} ^(٢)، وأحمد النبي الفتنة بحكمته.

لقد كان النبي (ص) يحسم الخلاف في عهده، إمّا بالإصلاح بين المتخاصمين أو بالقضاء أو بنهي الناس عن هذا الاختلاف، وكان إنكاره (ص) أو موقفه من الخلاف يمثل عند الصحابة الموقف الشرعي، فينقاد المؤمن لهذا الحكم ويعرض عنه المنافق أو الذي في قلبه مرض. أما بعد وفاة النبي (ص) فلم يكن أحد بمكانة النبي (ص) حتى تصفو القلوب لحكمه؛ لأن الصحابة المختلفين سواءً في السقيفة أو غيرها، لم يكونوا يرون شرعية مطلقة لموقف فلان من الصحابة وإنّما الشرعية لأحكام الإسلام ونصوص الشريعة التي يختلفون في العلم بها وفهمها ونحو ذلك؛ ولذا كان للاختلاف بعد النبي (ص) أثر كبير على حياة الأمة الإسلامية ومستقبلها الحضاري، بعكس الاختلاف في عهد النبي (ص) الذي كان يحسم بموقفه.

أمّا سبب الفرقة والشقاق في عهد الخلافة، فقد نشأ نتيجة للخوض في مجال سياسة الدنيا وحراسة شؤون الدين، وقد طرحت العديد من

Archive of SID

المشاكل وجملة من الأسئلة الشائكة في هذا المجال، حيث اختلف المسلمون حول كون الخلافة؛ خلافة الله في الأرض أم خلافة رسول الله في حكمه؟ أو هل هي خلافة جماعية أم فردية؟ وهل تعطني بشؤون الدين أم بسياسة الدنيا؟ ومن هو الأجدر للخلافة؟ كما اختلف المسلمون في أمر الشورى والبيعة وشروط الإمامة.

إنَّ الاختلاف يعتبر صحيحاً إذا بقي في دائرة السلم والاجتهاد، أما إذا كان الاختلاف طريقاً لتفريق المسلمين وتنازعهم وتكفير بعضهم بعضاً أو تبديع بعضهم بعضاً فإنه يصبح مذموماً، ويترك أثراً سلبياً على عملية تحقيق الوحدة الإسلامية، والتقريب بين المسلمين. بناءً على ذلك، يجب أن لا ننزعج من الاختلافات الفكرية والفقهية والسياسية، التي حدثت في عهد الصحابة، بل علينا أن ننزعج ممن يتخذ هذه الخلافات ذريعة بهدف تفتيت وحدة المسلمين، وعرقلة برنامج الوحدة والتقريب بينهم.

العصبيات الجاهلية

إنَّ العصبية تعتبر من النتائج الحتمية، التي تسبب نتيحة لوجود التطرف والغلو بين أوساط الطوائف الإسلامية المختلفة، وهي من

Archive of SID

أشدّ العناصر التي تؤدي إلى التنازع والفرقة.

وكما نهت الشريعة الإسلامية عن تكفير المسلمين، نهت عن التعصب الجاهلي الذي يؤدي إلى تجاهل الطوائف والجماعات الإسلامية الأخرى؛ لأنّه من السلوكيات التي يميّز بها الكفار؛ قال تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ) (٣).

إنّ أهم العوامل التي تؤدي إلى زرع بذور حميّة الجاهلية، التعصّب الأعمى لطائفة أو مذهب، أو الانتماء لقومية أو عرق خاص، مع أنّ الإسلام دين عالمي كوكبي ليس له قومية معينة، بل تجده ينتشر في جميع بقاع العالم، ويكتسب كل يوم أنصاراً جديداً ومواقع جديدة.

إنّ مشكلة التعصّب للقومية والعرق، تعتبر من المشاكل القديمة، حيث يتعصّب الكثير من الناس إلى قوميته ويتجاهل القوميات الأخرى. لقد كان غلاة القوميين خصوصاً يترحون القومية العربية كانتهاً بديل عن دين الإسلام، مع أنّ مجرد الانتساب للعرب لا يُعد بديلاً عن الإسلام، وإن كانت هذه نسبة لها فضلها ومكانتها، والمشكلة لا تكمن بمجرد

Archive of SID

الانتماء، المشكلة أن يُشكّل هذا الانتماء تعصباً أعمى على حساب الانتماء الأصلي والولاء الأصلي لله ولرسوله (ص) وللمؤمنين.

لا ضير من الانتماء إلى القوم أو القبيلة أو الشعب بما هو انتماء؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد امتن علينا في ذلك، فقال: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) ^(٤) إنّما المشكلة تكمن في التعصّب لهذه القومية، ولهذا قال الرسول (ص): «أربع في أمّتي من أمر الجاهلية لن يدعوها: الطعن في الأنساب، والتفاخر بها وبالاحساب...» ^(٥)، فالمشكلة ناجمة عن النصرّة للباطل والمنافرة والمفاخرة والمباهاة، والحبّ والبغض وأن تكون هذه الأشياء هي علامة الولاء، فتجد الواحد يسعى إلى تقريب من كانوا من قبيلته في جميع الشؤون؛ مما يؤدي إلى نشوء نوع من التجاوزات والتحالفات لقبيلة على حساب قبيلة أخرى، ويفضي إلى تداعيات لا تخدم الحضارة الإسلامية.

إنّ التخلف في ركب الحضارة الإسلامية قد ينجم عن التفريق بين المذاهب والطوائف الإسلامية، حيث يلعب هذا العامل دوراً كبيراً في إثارة الفرقة والتشتت بين المسلمين؛

Archive of SID

كالمذاهب الفقهية التي كانت في يوم من الأيام سبباً للخصومة وسالت بسببها دماء، وقطعت بسببها أرحام وأواصر، بل ربما كانت في وقت من الأوقات فرصة لتدخل الأعداء وضربهم بلاد المسلمين.

إنَّ الإسلام رحمة أنزلها الله على عباده، وبعث بينهم رسولاً يضع عنهم إصرهم والأغلال التي عليهم، ويخرج من قلوبهم حمية الجاهلية، ويجعل في قلوبهم المودة والمحبة والرحمة. بناء على ذلك، فإنَّ أفضل السبل للتحرر من العصبية، التمسك بمبادئ الإسلام على أساس مبادئ السماء القائمة على العدل، وعدم هضم حقوق الآخرين على أساس أي عنوان من العناوين التي تدخل في إطار العصبية المنافية لإقامة حقِّ الله ورسوله، والمانعة من بناء حضارة إسلامية ذات مستقبل مشرق ووضاء.

التطرّف والغلو

التطرّف ضد الاعتدال: لأنَّ الاعتدال هو: «عدم التطرّف أو الإفراط، وهو التوسط بين حالتين»^(٦) وكلمة «الغلو» لها معنى شبيه بمعنى «التطرّف»، فهي تعني: «الإفراط، التطرّف، وهو المبالغة وتجاوز الحد»^(٧).

Archive of SID

إنَّ ظاهرة التطرّف والغلو تعتبر من أبرز الظواهر السلبية في المجتمع الإسلامي؛ لأنّها مدعاة للاستغلال من قبل أعداء الإسلام وتوظيفها لعرقلة مسيرة الحضارة الإسلامية، حيث يقوم الأعداء ببتّ روح التطرّف والانحياز في البلدان الإسلامية؛ من أجل أن تتخذ كل طائفة موقف منهاض للطائفة الأخرى، قد يؤدي إلى تأجيج نار الفتنة الطائفية والتوسل بسلح العنف والقتال، مع أنّ الحرب والقتال بطبيعته عمل غير حضاري؛ لأنّه يقف حائلاً دون تقدّم مسيرة الأمة الحضارية، ولم تكن الحروب التي تعرّض لها الإسلام في عهد الرسول (ص) إلا حروب دفاعية، اضطر لها المسلمون للدفاع عن أنفسهم وتثبيت كلمة الله في الأرض.

كما أنّ الغلو يعتبر أيضاً ظاهرة من الظواهر الفكرية المنحرفة التي تنشأ في الأوساط الدينية، وقد أخذت هذه الظاهرة تستشري ويتزايد ظهورها بين أوساط المجتمع الإسلامي بشكل واسع، وهي ظاهرة دخيلة على حضارتنا الإسلامية؛ لأنّ القرآن الكريم لم يتعرّض لكلمة «الغلو» في القرآن الكريم إلا مرتين، وجاءت في سياق الحديث عن نهى أهل الكتاب عن الغلو في الدين. والآيتان هما؛

Archive of SID

قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) ^(٨)؛ وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) ^(٩).

إذاً فالتطرف والغلو هي من المعاني الخطرة، ومن الظواهر الغريبة عن الإسلام، فهي تؤثر سلباً على مسيرة الحضارة الإسلامية، لا يتمسك بها إلا من غلب على عقله، وختم على قلبه، واتبع هواه، أما الاعتدال فهو قيمة إنسانية، لا يتحدّى بها إلا الذين ارتقوا بإنسانيتهم إلى منازل الرفعة والسمو الإنساني.

ومن الواضح أنّ معالجة أسباب التطرف والغلو هي الكفيلة بإيجاد المناخ المناسب الذي يزدهر فيه الاعتدال، وتخبو فيه نار الطائفية المتأججة من جذوات التطرف والغلو، وأنّ السبيل لذلك يتجلى في اعتماد الحوار والتفاهم الحضاري القائم على حرية التعبير بين أفراد الطوائف المختلفة، كما www.SID.tr في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ

Archive of SID

أَحْسَنُ) (١٠)، وقوله تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١١).

إنَّ تبادل البرِّ والإحسان بين جميع الفرق والطوائف الإسلامية، هو الذي يعمِّق جذور التواصل الحضاري بين المسلمين، وخاصة تلك المختلفة دينياً ومذهبياً، فنحن نرى القرآن الكريم قد وجه المسلمين نحو التحلّي بصفات المودّة والإحسان مع غير المنخرطين في العدوان والإجرام، حتى حينما كان المسلمون في أوج محنتهم مع المشركين ومعاناتهم من حملاتهم العدوانية، عندما وصل الأمر إلى معارك حربية دامية، فقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (١٢).

الهوامش:

- ١ - صحيح البخاري، البخاري: ج٤، ص١٦٠؛ صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٨، ص١٩؛ المحلى، ابن حزم: ج١١، ص٢٢٠؛ سنن الترمذي، الترمذي: ج٥، ص٩٠.
- ٢ - سورة المنافقون: الآية ٨.
- ٣ - سورة الفتحة: الآية ٢٦.
- ٤ - سورة الحجرات: الآية ١٣.
- ٥ - عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي: ج١، ص١١٤؛ مستدرک الوسائل، الميرزا النوري: ج٦، ص١٩٦.
- ٦ - معجم ألفاظ الفقه الجعفري: أحمد فتح الله: ص٦٠.

Archive of SID

- ٧ - المصدر السابق: ص ٣١٠.
- ٨ - سورة النساء: الآية ١٧١.
- ٩ - سورة المائدة: الآية ٧٧.
- ١٠ - سورة النحل: الآية ١٢٥.
- ١١ - سورة البقرة: الآية ١١١.
- ١٢ - سورة الممتحنة: الآية ٧.